الفصل السادس

خلاصة الدراسة و التوصيات و المقترحات

أولاً : خلاصة الدراسة :

تكرست هذه الدراسة الوصفية لمحاولة معرفة مفهوم الجمال في الإسلام و مدى إمكانية عدّ هذا المفهوم إطاراً نظرياً للتربية عن طريق الفن .

١- إن هذه الدراسة و من خلال قناعة الباحث بأهمية المبحث الأخلاقي في تحديد مجال التجربة الجمالية في الفن ، عملت على دراسة تاريخ الأخلاق و علاقتها بالجمال في مختلف الحضارات الإنسانية بصورة موجزة لتكون مدخلاً لتبرير ارتباط الأخلاق بالجمال في الإسلام ، و بالتالي وصف المحتوى التربوي للفن فيه بما يعطي للبحث بعض الثبات النظري .

٢- إن المفهوم الجمالي في الإسلام مفهوم ديني يستمد طبيعته و عناصره من خلال تصورات الدين الإسلامي على مستوى العقيدة و الأخلاق ، و هو مفهوم واسع يشمل مفاهيم غيبية و مشهودة تؤدي دوراً متكاملاً كما يظهر من مصادر المفهوم الأساسية ، في القرآن و السنة النبوية و آراء الفقهاء .

٣- وبالتالي ، فإن المفهوم الجمالي في الإسلام يتكون من هذه المستويات :

أ- جمال الذات الإلهية .

ب- الجمال الباطني – صحة الإيمان و حسن الخلق .

ج- جمال الصنعة الإلهية في الطبيعة الدنيوية و جمال الجنة في الآخرة .

د- جمال الفن في الإبداع البشري .

٤- أدى هذا المفهوم الجمالي ، وفقاً لهذا ، وظائف تربوية هامة من خلال القرآن تتمثل في :

أ- وظيفة الجمال كدليل على وحدانية الله تعالى وقدرته .

ب- وظيفته لإظهار نعمة الله على الخلق .

ج- وظيفة الجمال لوصف الجنة .

د- وظيفة الجمال كأداة للدعوة .

هـ- وظيفة الجمال كأداة للاختبار .

و- وظف الجمال في القرآن لوصف الأخلاق .

٥- تناول الباحث الفنون الجميلة وفقاً للتصنيف الزماني – المكاني ، وقد مثّل للفنون الزمانية بالشعر و السماع ، و للمكانية بفن الخط العربي و الزخرفة الإسلامية و النحت و العمارة ، و ذلك من أجل بحث مكانتها وأهميتها التربوية في الإسلام بناءً على :

أ- الشكل :

إنّ المفهوم الجمالي في الإسلام يستوعب الجمال الفني في الإبداع البشري و يقدره تقديراً تربوياً من خلال الوظيفة الأخلاقية التي يؤديها ، فمن الناحية الشكلية رعى الإسلام جمالية الفنون المختلفة كما ثبت من احتفاءه بالشعر و الأصوات الجميلة ، و تكريمه للخط و العمران ، مثلاً .

ب- المضمون :

يتعاظم الدور التربوي الأخلاقي لمفهوم الجمال في الإسلام من خلال النظر في المضمون ، و قد كان الجمال الباطني – صحة الإيمان و حسن الخلق _ أداة لنقد محتوى جميع الفنون التي تناولتها الدراسة . و كما في جميع الحضارات حيث ارتبطت الفنون بأخلاقياتها و عقائدها ، كان قد أوجد الإسلام جمالياته الخاصة التي تعبر عن عقيدته و توجهاته التربوية و الأخلاقية .

إن أهمية تناول المادة بهذا التصنيف المنهجي للخبرة الفنية من حيث تقسيمها إلى شكل و مضمون ، ساعد على التوصل إلى حقيقة القيمة التربوية للفن الذي يعبر عن المفهوم الجمالي في الإسلام .

٦- يشكل المفهوم الجمالي المتعلق بالذات الإلهية ، كما تمثل ذلك الرمزية البصرية في التجريد الهندسي الإسلامي ، و غيرها ، مجالاً حيوياً للتعبير الفني . كما كان جمال الصنعة الإلهية في الطبيعة مصدراً للوحي الجمالي و الفني كما تمثله الفنون المختلفة بشكل مباشر أو بطريقة رمزية تعتمد التجريد و التحوير الهندسي . و ينطوي هذا المدى الجمالي في الإسلام على بُعد عقائدي و أخلاقي ، ذلك أن الفنان المسلم يعتبر أن الطبيعة جزء من الإبداع الإلهي و هي نعمة تنم عن حكمة و قدرة ربانية تؤكد وحدانية الله تعالى و عظمته ، بينما تستبعد كثير من النظريات و الأفكار الجمالية الوضعية الطبيعة عن مجال الخبرة الجمالية ، و يعتبر كثير من علماء الجمال الغربيين أن جمال الطبيعة جمال عَرَضِي و غير مقصود و بالتالي فهو مؤقت و زئبقي ، و الطبيعة نفسها عديمة الصبغة الأخلاقية و تتربص بالإنسان الشر و تفجعه بالأقدار القاسية ، و عليه فإنهم يحصرون الخبرة الجمالية الاستطيقية فقط في الفن و الإبداع الإنساني .

كما كانت الجنة مصدراً خصباً للرؤية الجمالية في الفن الإسلامي ، و قد ساعد الوصف الجمالي للجنة في القرآن الكريم و السنة النبوية على تهيئتها للخيال الإبداعي و مقامات

الشوق و العشق ، و قد ظهر هذا في كثير من إبداعات الفنانين و الشعراء و المهندسين و المبدعين المسلمين على طول تاريخ الحضارة الإسلامية و عصورها .

٧- إن هذا الفهم الخاص للجمال في الإسلام في حال ارتباطه بالتصورات الدينية و الأخلاقية في الإسلام يصف العملية الإبداعية في أعمق أبعادها التربوية ، إبداعاً و تذوقاً ، كما يلي :

أ- وصف المفهوم الإسلامي للجمال منشأ الخبرة الجمالية على نحو رصين ، و بصورة تفرّد فيها عن النظريات الغربية الثلاث : النظرية الذاتية ، و الموضوعية ، و الموضوعية النسبية ، و هي النظريات التي تصف حكم القيمة الجمالية و منشأ الجمال في فلسفة الفن المعاصر . و قد أكدت الدراسة أن المنظور الإسلامي يجمع بين الذاتية و الموضوعية بصورة متناهية السمو و الإيجابية ، و ليس كما جمعت بينهما الموضوعية النسبية .

ب-أوجد الإسلام من خلال النقد وظيفة أخلاقية و تربوية تخدم فكرة جمالية ذات مستوى أعلى و هو الجمال الباطني و تكمن القيمة التربوية في هذه الوظيفة النقدية في أنها تستهدف صيانة وحدة الإنسان في توجهه إلى الله بحيث لا تتعارض قيم الحق الخير و الجمال و إنما يعزز توافقها و انسجامها بحكم التعريف الصحيح لحدود الخبرة الجمالية و آفاقها .

٨- تتأكد خصوصية التربية عن طريق الفن من خلال مفهوم الجمال في الإسلام ، بفضل ثبات و صدق التطابق بين العقيدة و الأخلاق و السلوك في الإسلام ، و قد صار نتيجة لهذا أن كل سلوك إنساني يكتسب دلالاته التربوية من خلال هذا التوجه نحو هدف واحد ، و هو عبادة الله وتوحيده .

إن هذا المكسب العقائدي و الأخلاقي هو ما عاب نظرية التربية عن طريق الفن عند هيربرت ريد ، حيث افتقرت نظريته إلى هذا المدى العقائدي التوحيدي ، وهذا هو السبب في تناقضها خاصة في مفهومها للخير و الشر ، و هذا ما يفسر فشلها أيضاً على مستوى التطبيق حينما اعتمدت أفكار التحليل النفسي و اللاشعور كبديل للعقل لأنه عجز عن تدارك الشرور المحدقة بالإنسان ، و قد انتهى هذا التوجه بهيربرت ريد إلى تبني الأفكار السيريالية في الفن التي أثبتت فشلاً ذريعاً و قد كانت موضعاً للنقد الذي أتى بنيانها من القواعد ، و بشكل برهن على قصورها في أن تكون نموذجاً صالحاً للتربية عن طريق الفن .

ثانياً : التوصيات :

يوصي الباحث بتضمين مفهوم الجمال في الإسلام بشموله و تكامله ليعطي مدلوله التربوي الصحيح من خلال دراسات أصول التربية و فلسفتها ، و يتضمن هذا ، التوصية بدراسة الفنون الجميلة و التربية الفنية وفقاً لموقعها بالنسبة للمفهوم الجمالي في الإسلام ، ذلك لأن أوضاع الدراسات التربوية التي تتناول هذه المواد السلوكية الهامة في البلدان العربية و الإسلامية بما في ذلك السودان ما زالت تدور في فلك الرؤية الغربية وهي تراوح مكانها الذي تركها عليه الاستعمار في حوالي منتصف القرن الماضي . و ذلك بناءً على ما يلي :

١- ربط المفهوم الجمالي بالعقيدة و الأخلاق في الإسلام ، و ذلك بدراسة القيمة الجمالية و وظائفها التربوية التي عبّرت عنها المستويات المختلفة للجمال في الإسلام .

٢- إعادة تأسيس معرفة نظرية تستلهم المفهوم الجمالي في الإسلام للتوصل إلى صيغة ملائمة للتربية عن طريق الفن ، وفيما يرى الباحث أن مصطلح التربية عن طريق الفن أنسب ما يكون من خلال المفهوم الإسلامي للجمال ، نسبة للكفاءة العالية للقيمة الجمالية المتصلة بالعقيدة و الأخلاق في الإسلام ، و من جهة أخرى فقد برهنت آراء هيربرت ريد في نظريته التربية عن طريق الفن إخفاقاً نظرياً و عملياً بسبب ضعف ركائز المفهوم الأخلاقي لديه ، و مما يستدعي ضرورة إعادة تقييم موقف المسلمين إزاء التربية الجمالية و الفنية و بصورة مقارنة ، أن مناهج التربية الفنية ما زالت تعتمد على مفهوم هيربرت ريد بصورة أساسية .

٣- إبراز المفهوم الجمالي في الإسلام و موقفه المتوازن من الفنون الجملية كنظرية تربوية ، خاصة في هذا الظرف التاريخي الذي يمر به المسلمون ، و يستهدف الجهد في هذا المجال تعزيز الحوار الحضاري بين المسلمين و غيرهم ، و التعريف بالإسلام من خلال أهم ملامحه الحضارية و الإنسانية و التأكيد على تميّز الإسلام و سموه ورفعته .

٤- تفسير الفن في الإسلام وفقاً لمعايير الخبرة الجمالية في الإسلام و آفاقها الرحبة ، بما يمكّن من قابلية لتفسير أسلوب الفن الإسلامي في مستوى الإبداع و التذوق و النقد الفني ، و إيفاء المدى التربوي حقه من الاعتبار و المعرفة شكلاً و مضموناً .

ثالثاً : المقترحات :

١- يقترح الباحث إلقاء مزيد من الضوء على المفهوم الجمالي في الإسلام و تجاوز مرحلة النظر الفقهي للفن ، ذلك أنه لا يمكن التوصل للقيمة التربوية الحقيقية للفن دون تناولها من خلال المفهوم الجمالي الشامل في الإسلام .

٢- يقترح الباحث اعتماد مصطلح " الفن الإسلامي" على قاعدة أكثر منهجية ، بحيث تتأكد صحة انتماؤه للإسلام بقدر ما يحقق من توافق و انسجام مع تصورات الإسلام عقيدةً و أخلاقاً ، وليس كما زعم البعض بأن الفن الإسلامي هو الذي أنتجه المسلمون ، و الفرق كبير ، و يتضمن هذا الاقتراح وجوب إعادة التفكير في العملية الفنية و الإبداعية في الإسلام باعتبارها مظهر تربوي جدير بالاعتناء و التطبيق .

٣-يقترح الباحث إجراء مزيد من الدراسات خاصة في مستوى المفهوم الباطني للجمال في الإسلام باعتباره أداه لتوجيه و تكييف و نقد الفنون الجميلة ، و إلى أي مدى يخدم هذا المستوى الجمالي غايات تكسب الفن مدلولاً تربوياً أساسياً ، و ليست أداة لمنع و إدانة الفن في حد ذاته .

٤- كما يقترح الباحث إلقاء الضوء بصورة موسعة على مفهوم الإسلام لمنشأ الخبرة الجمالية و تذوقها ، و قد وجد الباحث من خلال موقف القرآن الكريم من هذا الموضوع إرهاصات ذات دلالة دينية و جمالية عميقة ، يتميز فيها عن سائر النظريات الوضعية التي تناولت هذا الموضوع من خلال فلسفة الفن و النقد الفني المعاصر ، بل و يتجاوز جوانب القصور التي اتسمت بها .

٥- يقترح الباحث أن يتم تناول و دراسة الفنون الجميلة في الإسلام وفق المصطلح المعاصر ، و لا يتم تناولها بصورة انتقائية و مبتسرة ، و لهذه المسألة الشكلية جدواها من جهة منطق البحث العلمي ، فمثلاً إذا اعتبر الشعر نوع من أهم أنواع الفنون الجميلة ، فإن دراسته تفسر إلى

حدٍ كبير موقف الإسلام من بقية الأنماط الفنية و التعبيرية ، تختلف نتائجها في كثير من الأحوال عن نتائج الدراسة التي تختزل الفن في الموسيقى و النحت فقط ، مثلاً .

٦- تنشأ من هذا مسألة فرعية ، و هي وجوب تقسيم الخبرة الفنية إلى مستوى الشكل و المضمون ، حتى يتثنى للباحثين التوصل للمحتوى التربوي للفن ، جمالياً و أخلاقياً ، بأقل مؤونة و أيسر سبيل .